

05.08.11

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله.

و بعد:

فإن الله تعالى لما أرسل رسوله صلى الله عليه و سلم ليكون رسول اخر الزمان، فإنه أرسله في زحمة من الشرائع و الاديان التي سادت أيام بعثته.

و بنظرة سريعة فاحصة لما كان منتشرا في ذلك الزمان من الأديان و الطقوس، فإنه يمكننا القول بأنها تنقسم من حيث المبدأ لمجموعتين أساسيتين:

الأولى: و هم أصحاب الديانات السماوية السابقة، كاليهود و النصارى و الحنفيون الذين كانوا على تعاليم نبي الله ابراهيم عليه السلام.

و الثانية: و هم الوثنيون الذين لا يؤمنون بالله الواحد، كالمجوس عبدة النار في بلاد العراق، أو العرب المشركين عبدة الأصنام في جزيرة العرب.

و كان من الطبيعي و المنطقي، أن يأتي الاسلام منحازا للطائفة الأولى من أهل الكتاب، لكون الرسالة الاسلامية جاءت مكملة و خاتمة للرسالات السماوية، و سائرة على نفس الطريق في

الدعوة لعبادة الله الواحد الخالق. و إن كانت هذه الطائفة هي الأقل من حيث العدد في ذلك الزمان بالنسبة للوثنيين.

و في هذا جاء الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم: " إن الله لما بعث محمدا نظر الى أهل الأرض فمقتهم عربهم و عجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب" [رواه

مسلم].

و لما كانت الديانة النصرانية هي الأقرب للإسلام وقتا و أكثر قبولا، جاء القران الكريم ليصفهم بأنهم الأقرب للإسلام على الاطلاق، فيقول: " و لتجدن أقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا إنا نصارى"

[المائدة 82].

و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إنه سرى على كثير من الاحكام و المواقف التفصيلية في الشريعة الاسلامية.

ففي أول الدعوة، و حين كان يقدر عدد المسلمين بالعشرات، حصلت معركة حاسمة بين الروم النصارى في الشام و بين المجوس في العراق انتصر فيها المجوس. فترى القران ينزل متحدثا

عن هذه الواقعة مبشرا النصارى بنصر قادم خلال بضع سنين، يفرح يومها المؤمنون فيه بنصر الله. فيقول الله تعالى: "السم، غلبت الروم، في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون، في

بضع سنين لله الأمر من قبل و من بعد و يؤمذ يفرح المؤمنون" [الروم 1-4]. فجاء الامر بعد ذلك كما ذكر القران.

و لما حرم الاسلام على اتباعه الزواج بالمشركات، لم يحرم الزواج بالكتايبات من اليهود و النصارى، و لذلك فعله كثير من الصحابة.

وكذلك قبل ذبائحهم، وأحلّ طعامهم، حين حرّم طعام المشركين و الوثنيين. يقول الله- سبحانه وتعالى: "اليوم أحل لكم الطيبات و طعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم و طعامكم حل لهم و المحصنات من المؤمنات و المحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم إذا ءاتتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين و لا متخذي أخدان و من يكفر بالإيمان فقد حبط عمله و هو في الآخرة من الخاسرين" [المائدة 5]

و حين لم يرضى من العرب المشركين البقاء على شركهم في ظل الخلافة الاسلامية، رضى ذلك من النصارى، على شىء يقدمونه للخلافة مقابل حمايتهم من عدوهم. و تتبع تفاصيل الأحكام في مثل هذا كثير.

و الخلاصة:

يظهر فيها الاسلام على نمط متقدم من التعاون و التوقير بين أصحاب الأديان السماوية. و لهذا لما اقتطع عمرو بن العاص جزءا من كنيسة في مصر، ليوسع بها مسجده، أرسل اليه عمر بن الخطاب أن يعيد ذلك الجزء للكنيسة، و يهدم ما كان بناه من مسجده على تلك البقعة قائلا لِعِزِّ "أ لم تؤمر بهذا".